المكاتب ودور المطالعة

لحضرة الكاتب الفاضل خليل افندي ثابت

سر كيفما شئت في شوارع عاصمة الديار المصرية تلقَ الحانات والقهاوي قد صفّت فيها الاخونة ورصفت فيها زجاجات المسكر وجلا اصحابها كؤوس الزاج يديرونها على الشرب وهؤلاء بين شاب وكهل وعظيم وحقير يقتلون الوقت ويبذرون الدراهم ويخسرون العافية غير عالمين ان الحياة اثمن من ان تضاع بين الكاس والوتر وان العمر قصير يتوجب على المرء ان يسعى فيه لاعلاء شأنه وشأن غيره ونفع نفسه والآخرين ثم جلّ في ارجاء القاهرة واطلب نادي أدب او مجتمع علم فانك غير واجد لبانتك واذا كان شيء فلا اكثر من متحدث يضم فريقاً من القوم همهم المسامرة او تربية الجياد او ما يماثل هذين الا بضع منتديات شذت عن هذه القاعدة وقليل ما هي

وادخل البيوت العامرة بالسكان المزينة بافخر الرياش واثمن الاثاث وحدّق يا حضرتيك لعلك ترى في زاوية ما خزانة كتب فيها مالذّ وطاب من المؤلفات العلمية والادبية فلا ترى سوى بعض اقاصيص الغرام وشيئاً من الكتب المدرسية لصغار الاسرة ثم اقرإ الصحف اليومية تلقها تنظر في اخبار الترانسفال واميريكا واوستراليا وغيرها من البلدان النائية والناس على قراءة تلك الاخبار مقبلون ولاقوال الصحف سامعون واذا حولت انظارهم الى ما هو اهم من جميع هذه لم تلقَ منهم اذاناً صاغية ولا قلوباً واعية حتى باتوا وقد صحّ فيهم قول حضرة الفاضل معرب كتاب سرّ تقدم الانكليز الكونيين في مقدمته " ذلك اصاب الامم الشرقية واستحكم في عقولها حتى عمّ الفتور وصار كأنهُ حالة فطرية فحسبناهُ خلقاً من اخلاقنا وعددنا من يخرج عن حالتنا هذه مبتعداً عن المنهج القويم ومارقاً عن تقليد الامة وعاداتها ومهيناً لها في ما ترى التمسك به من موجبات كالها . . . . . هذا هو السبب في الاقبال على مطالعة القصص والخرافات والتهافت على اقتناء التافه من المؤلفات والتسابق الى حفظ كتب المجون والروايات والنفور من القول الجدّ وهجر النافع واغفال المفيد وفيه تعليل واضح لكثرة انتشار كتب المجون والهذيان وقلة كتب العلوم الصحيحة فان الاولى لا تطلب شيئاً من همة القراء ولا تشغل محلاً من مدركتهم ولا يتكلفون اكثر من النظر الى الاحرف ليحصلوا منها صورة في الذهن تضحكهم او يدركوا واقعة تعجبهم ثم ينقضي الوقت بسلام وغطاه الادراك الحقيقي مقفل عليه . ولان الثانية تقضي امعان النظر وتستوقف الفكر وتنساب في النفس فتحدث فيها من

التأثير ما يهيج خاطر المطالع ويدعوهُ الى العمل او ينبههُ الى الواجب عليهِ . . . . . .

هذه المجتمعات اصبحت معدومة في منازلنا حتى بين اهل الحرفة الواحدة بل صار هؤلاء اشد الناس نفوراً بعضهم من بعض فجهل كل واحد سبيل اخيهِ وغابت عنهُ بذلك منفعتهُ ومنفعة مواطنيهِ وضعفنا بتفرقنا وسهل على المزاحم ان يفوز بيننا فوزاً مبيناً . نعم يوجد عندنا مجتمعات كثيرة في هذه الايام ولكنها حول الكؤوس والاكواب او في ميادين الملاهي والالعاب

وتلك الجرائد على كثرتها وانتشارها لا يقرأ منها في كل يوم الا سافر فلان وعاد فلان . . . . . اما ما كان من تلك الجرائد مما يرشد الى فضيلة او ينبه على رذيلة او يوضح حقيقة فحظهُ حظ كتب الجد من جعلها خلف الظهر والاستعاضة عنها بما لا يفيد . . . . . دواؤنا التربية وسلامتنا في نشر المعارف والعلوم فعلينا بها بما بقي فينا من الشعور وما ترك لنا من الاختيار في العمل قبل ان يتم الانحلال ويتعذر علينا القيام"

تسعى الحكومة جهدها في تأسيس المدارس ونشر المعارف بين الرعية و يساعدها في ذلك كثيرون من الاجانب والوطنيين اصحاب المدارس في هذا القطر والناس مقبلون على تعليم اولادهم في مدارس الحكومة وفي مدارس غيرها حتى بات غير المتعلم محتقراً. على ان التلميذ او المتخرج في احدى تلك المدارس لا يلبث ان يخرج من مدرسته حتى يودع كتبهُ البيت و يسعى في طلب الرزق فاذا احرزهُ حسب انهُ نال الحظ الاوفر فحدثتهُ نفسهُ باللهو والطرب فكرع اللذات وتبع الشهوات ولم يبق على شيء ما تلقاهُ الا ما كان من اللغات الاجنبية التي يحتاج الى استعمالها كل يوم وان طالع كتاباً فرواية غرامية تزيد في استرخائهِ وضعفهِ وتقوي شهواتهِ ومطامعهُ وتتركهُ بحيث لا يستطيع الثبات في وجه مؤلف جدي او كتاب رائع تحتاج قراءتهُ الى امعان النظر والفكرة

لا ادري ما ينفقهُ اهل القاهرة يومياً من الدراهم ثمن مسكرات بالضبط وانما اقدرهُ باكثر من الف جنيه قياساً على ما اعرفهُ من حالة بعض مدائن الشرق اي ان اهل القاهرة يشترون من البلاء لنفوسهم ما ثمنهُ السنوي نحو اربع مئة الف جنيه ولم تنهض الحمية غيرة واحد منهم لانشاء مكتبة عمومية او دار قراءة يؤمها الشبان و يطالعون فيها ما بهِ تنهم بدلاً من ان يشربوا السم الزعاف فيكتسبون المعرفة و يقتصدون في قوام ودراهمهم و يعود النفع على البلاد بأسرها لان غنى البلاد وتقدمها عائدان الى غنى افراد الامة وتقدمهم . وقد بعث اليَّ احد الاصدقاء في بيروت كتاباً تلقيتهُ وقت كتابة هذه السطور قال فيهِ ما نصهُ

"اشتركت جمعية شمس البر[1] وجمعية الامتناع عن المسكرات[2] في فتح قراءة خانة وقد استأجرنا محلاً وسنفرشهُ بالاثاث اللازم ونجهزهُ بالكتب والجرائد الضرورية ويقام فيهِ رجل للاعتناء بهِ وفتح ابوابهِ". هذا ما تفعلهُ جمعيتان فقيرتان في مدينة لا يبلغ عدد سكانها خمس عدد سكان القاهرة فمن لنا بمن يمهد السبيل الى مثل ذلك في هذه العاصمة

وعندي ان اللوم مرجعهُ الى مدارس القطر وابناء الجيل المستقبل فيهِ فالمدارس تستطيع ان تربي في تلامذتها الميل الى المطالعة بحيث يرتاحون اليها ويجدون فيها لذة لا يالفونها في تلقي دروسهم ويستطيع الاباء ان ينفقوا جزءاً من دخلهم لا سيما الموسرين منهم في ابتياع الكتب والجرائد النافعة بحيث يعتاد الفتيان قراءتها فتصبح جزءاً من مطالب حياتهم وامانيهم

تحتاج القاهرة الى دور قراءة مجهزة بالكتب العلمية والادبية والروايات النافعة التي لا غبار على آدابها والجرائد العلمية والادبية والسياسية من عربي وافرنجي ويشترط ان لا يقدم لمنتابيها سوى قهوة البن والشاي والكوكو وان يقتصر على هذه فقط او ما شا كلها دون المشروبات الروحية والمسكرات . وان تعم هذه الدور ارجاء المدينة بحيث يسهل على الجميع التوصل اليها حتى اذا ما خرج العامل من عملهِ والصانع من صناعتهِ والتاجر من حانوتهِ وموظف الحكومة من ادارتهِ او بيتهِ نحو الاصيل او بعد الغروب قصد احد هذه البيوت فتح النفس بالقراءة والمطالعة والوقوف على احوال العالم وسيرهِ خارج القاهرة او خارج القطر المصري

ولا يخفى على المتأمل ما في ذلك من الفائدة المزدوجة زجر النفس عما ينهك العقل والقوى واكتساب ما فيهِ النفع واللذة على اسهل السبل

تحتاج القاهرة الى مكاتب عمومية تفرق في انحائها ويسهل على القوم استعارة الكتب منها واخذها الى بيوتهم للنظر فيها ساعات الفراغ فان المكتبة الوحيدة المفتوحة للقوم هي

---

(١) هي احد فروع جمعية اتحاد الشبان المؤسسة في مدينة لندن تأسست في بيروت منذ نحو ثلاثين سنة ضمت في خلالها نخبة شبان سورية والمتعلمين من اهلها ولا تزال تواصل اجتماعاتها وغايتها نشر المعرفة والآداب وفتح ابواب البحث لاعضائها فيما سوى المسائل السياسية والمباحث الطائفية المذهبية لها مكتبة صغيرة فيها كتب مختارة في العربية والانكليزية وبعض الدراهم في مصرف وقد اهدتها احدى السيدات الانكليزيات مالاً بعطى ربحه جائزة لمن يكتب من اعضائها افضل مقالة او يؤلف احسن كتاب في السنة

(٢) فرع جمعية الاعتدال المشهورة في العالم باسرهِ حديثة النشأة في سورية يبلغ عدد اعضائها في البلاد نحو عشرة آلاف بين رجال ونساء وصبيان وبنات لا مال لها وغايتها تعويد اعضائها على رفض المسكرات وعدم تعاطيها على الاطلاق ومجاهدتها في العالم ظاهر مشهور لا سيما البلدان التي منيت بغائلة السكر الوبيلة . والجمعية المشار اليها في عرض البحث فرعها في مدينة بيروت ترأسها زوجة الدكتور هتري جسب المبشر الاميركي الشهير

المكتبة الخديوية وانما يعسر على جميع اهل القاهرة الوصول اليها بل قد يتعذر على الكثير منهم الانتفاع بها

وقد اعتدنا ان نلقي احمالنا على الحكومة في جميع ما نطلبهُ من الحاجيات والكماليات . اما الحكومة فلا تستطيع القيام بهذا العمل (مع استطاعتها مد يد المساعدة) ولاموجب لدفعهِ الى يدها . وقد قرأت في الجرائد اليومية ان اعيان مديرية المنوفية اوقفوا على مدارسهم كثيرًا من الاطيان الخصبة فينفق دخلها في حفظ تلك المدارس مع ان للحكومة مدارس في مديريتهم فلم يطالبوا الحكومة بشيء ولا تعدم القاهرة وسائر مدن القطر الكبيرة اعيانًا اسخياء كراماً يرون لذة في نفع الناس ولتقدم البلاد وهم الذين نطالب بهذا المشروع كي تتحقق هذه الامنية فاذا تألفت منهم لجنة وغرضها انشاء المكاتب ودور القراءة لم تعدم من المؤمنين وممن العلم اقبالاً على شد ازرها ومعونتها

ولاخسارة مادية من دور القراءة وعندي ان ربحها مضمون تقريباً وان قلّ وشاهدي على صحة ذلك ان لجمعية اتحاد الشبان المسيحيين بيتاً من هذه البيوت في مدينة ازمير وآخر في الاستانة العلية وهما سائران على قدم النجاح ولا اخال الجمعيتين المؤسستين خسرتا ما يذكر . اما في بلاد الغرب كانكلترا واميركا مثلاً فهي كثيرة جدًّا ونفعها ظاهر عميم ولا نقتصر هناك على ما ذكرت بل تتناول اقامة المطاعم والفنادق حيث ينزل اعضاؤها من وطنيين واجانب فيتناولون الاطعمة المغذية الخالصة من الغش بثمن اقل مما يطلب منهم في سائر المطاعم حتى يقال ان الثمن يساوي القيمة تقريباً ولكل ذلك شروط وقوانين ليس هذا محلها ولا يطلب هذا الآن في منتديات القاهرة لان اموراً كهذه تعوز ولا تبرز للوجود دفعة واحدة اذ الطفرة محال

بقي المكاتب وهذه لا بدَّ من تضحية المال في سبيل اقامتها ولكن النفع العام العائد منها اكبر ربح يتطلبهُ محب الانسانية . والادباء الذين لا يتمكنون من نجدة هذه المكاتب بالمال يستطيعون امدادها بالكتب والجرائد والمؤلفات من عربي واجنبي

ومتى تيسر لنا الجمع بين دور القراءة والمكاتب العمومية فلا بدَّ ان تثمر ثمرة طيبة ألا وهي الجمعيات الادبية والعلمية وفائدة هذه اشهر من ان تذكر لما ينال اعضاءها من الفوائد في شحذ الاذهان وتبادل المذاهب والنظر في العلوم والاختراعات وتقوية ملكة الخطابة في الشبان

ويظهر لي ان الجمعيات الماسونية في القاهرة تستطيع ان تبدأ العمل لانها من الجمعيات العمومية المؤسسة على نظام وهي تضم الوفًا من الوجهاء والاعيان والادباء والاغنياء ومن اقصى غايات الماسونية وامنياها نشر المعارف والعلوم ولديها مال مذَّخر تستطيع بذل جزء منهُ

توصلاً الى هذه الغاية فتخدم الوطن ولا تكتفي بعقد الجلسات والقاء الخطب الادبية في محافلها وتوزيع الصدقات على اعضائها المحتاجين او اسعاف ذوي الباساء من ايتامهم وارامل

فمن لنا برجل كفرانكلين الاميركي تستحثهُ الغيرة والحمية فيقدم على انشاء مكتبة عمومية ومن لنا برجال يقومون كما قام اصحاب المشروع الشتكوي [٣] فيفتحون بيوت القراءة او المدارس الليلية لتدريس العملة والذين لم يفوزوا بدخول المدارس في صباهم

اتاني كتاب بالامس من صديق لي في سورية قال فيهِ ما معربهُ "اقيمت الحفلة الموسيقية السنوية يوم السبت الماضي بعد الظهر وسيخصص دخلها هذه السنة (نحو خمسين او ستين جنيهاً) لاسعاف منتدى الصبيان [٤] الذي انشئ في السنة الماضية وكان من غرضهِ اجتذاب الاحداث من مهاوي التهاوي والسكر والقمار كما تعلم وسأكتب اليك عن نجاحهِ بعد ان تستولي اللجنة على مبلغ الدراهم"

هذا ما يحرك الهمم المتوانية ويدفعها الى النظر في احدى المسائل الاجتماعية الخطيرة فيجزء صغير مما ينفق على المسكرات واللهو يستطيع اهل القاهرة ان يكتسبوا نفعاً كبيراً ويذخروا لهم ولبنيهم من بعدهم ميراثاً فيهِ الخير لجميعهم

ومعلوم ان للحكومة نفعاً كبيراً من هذا التغيير اذا حدث فانهُ يقلل عدد الجرائم ويزيد اهتمام القوم بمساعدتها اذ من المعلوم ان سند الحكومة في كل بلاد افاضل رجالها وخيرة ابنائها علماً وادباً ويحسن بالحكومة ان تشجع هذا العمل ما استطاعت الى ذلك سبيلاً وانما تثقل المسئولية ملقى على عواتق الاهلين ولا ارام يستطيعون التملص من هذه المسئولية مهما انتحلوا لذلك من الاسباب الا اذا قالوا ان الناس اعتادوا انتياب الحانات ولا يستطاع صرفهم عنها

---

(٣) من شتكواي بحيرة في الولايات المتحدة بدىء هذا المشروع على ضفافها والغاية منهُ اسعاف من لم يستطيعوا الدرس ايام صباهم او لم يتمكنوا من اتمام دروسهم على نيل تلك الغاية وقد انتشر هذا المشروع في الولايات المتحدة وتجد تفصيلهُ في كتاب نقلهُ الى العربية احد الراغبين في انتشارهِ وطبعتهُ المدرسة الغلبة الاميركية في بيروت ووزع مجاناً على من اراد

(٤) منتدى اقيم سنة ١٨٩٦ في بيروت والشارع في انشائهِ كريمة الدكتور جورج بوست الجراح الشهير بمعاونة بعض الفضلاء والفاضلات والغرض منهُ صرف الاحداث عن التهاوي في بيوت الحانة في السهرات واجتذابهم الى حيث يصرفون الوقت بين الدرس والكتابة وممارسة الالعاب وسماع الموسيقى والخطب البسيطة المقرونة بالامثلات العلمية وقد تبرع تلامذة المدرسة الكلية بمساعدة هذا العمل بما يفضلونهُ من الوقت في اعانة الاحداث وتعليمهم وتقديم الخطب وما برحت ابي الانسانية ان مولاء الاحداث اخذوا يقتصدون في دراهمهم التي كانوا ينفقونها وذلك ان مديرة المنتدى فتحت صندوقاً للتوفير وفي كل اسبوع يأتي الاحداث بما جمعوهُ والكل منهم دفتر يكتب فيهِ مبلغ ما دفع بتاريخهِ ومتى بلغ المجموع نحو عشرة فرنكات وضع في البنك الاقتصادي بفائدة قليلة

وليتأمل المعترض فيما اذا كان هذا القول يسير على جميع الناس على اختلاف طبقاتهم والواقع على غير ذلك لان كثيرين من الشبان لا يميلون الى انتياب القهاوي والحانات وانما هم يفعلون ذلك على رغم انفهم لانهم غير مخيرين فهم يتطلبون الراحة من عناء الاشغال والاجتماع باقرانهم فلا يلقون مجلساً يضمهم سوى القهاوي والحانات وقليل بينهم من يستطيع كجم امياله فيفضل العزلة في وقت الراحة على لقاء الناس فلو تيسّر لهؤلاء ما يطلبون لاقلعوا عن الذهاب الى بيوت الحان وغيرها

ثم ان حاجة البلاد الى المدارس لا توازي افتقارها الى المكاتب ودور القراءة والجمعيات ومنتديات الآداب فان المدارس آخذة في التكاثر تبعاً لناموس التقليد ولاسيما مدارس الذكور فلا بدّ اذاً من السعي لايجاد متممات المدارس فيستفيد الطلبة فائدتين عظيمتين متابعة العلم الذي يتلقونهُ في المدارس ودفع الضرّ الناجم عن انتياب اماكن اللهو وبيوت الحان

حصرت الكلام في القاهرة مع علمي انهُ يتمشى على جميع مدن القطر لان القاهرة ام مدائنهِ وعاصمة البلاد ومقرّ الحكومة وفيها من الوسائل ما هو غير ميسور لسائر مدن القطر اللهم الاّ الاسكندرية وانما يقال في المدن الكبيرة ما يقال فيها لاسيما التي تغلّب فيها العنصر المصري على غيرهِ من العناصر

بقي اعتراض يجب دفعهُ قبل الختام وهو ان القاهرة الجديدة حيث ينتظر اشادة هذه الدور وتلك المكاتب والجمعيات خليط من جميع امم الارض ففيها الانكليزي والفرنسي والالماني واليوناني والايطالي والمصري والسوري على اختلاف نزعاتهم وطبقاتهم ومشاربهم ومذاهبهم فكيف يتسنى لهؤلاء القيام بمشروع يقتضي الاتفاق في العادات والمشارب والنزعات

اما كلامي فموجه الى الناطقين بالضاد من مصريين وغيرهم وليس بين هؤلاء ما يدفع الى تفريق كلمتهم الاّ ما لا يعتدُّ بهِ ولهم في جامعة اللغة والوطنية والتابعية ما هو كفوء لضمهم في امر تتفق في حمد منفعتهِ آراؤهم وآراء جرائدهم والفضلاء منهم الاّ فئات طمست ابصارها باكف التعصب والجهل . ولا يخفى ان الاوربيين ممن ذكرت آنفاً لم يغفلوا هذه الجمعيات والمنتديات لاسيما المتعلمين منهم ثم ان هنالك من الفرق بينهم وبين المتكلمين بالعربية ومن التباين في الاحوال والمعيشة والاستعداد ما لا موضع لذكرهِ هنا

ان فرنسا كانت مثالاً لمصر في تنظيم الحكومة والاحكام والزي والعادات وقد تابعها هذا القطر في كثير من الامور وانما لا تخلو مدينة في فرنسا صغيرة كانت او كبيرة من مكتبة عمومية وجمعية ادبية ومنتدى للقراءة فعلام لا يجري التقليد في النافعات كلها بل يشتد في المؤذيات فقط

تلك امانٍ قد يحققها الزمان وتأتي بها الحاجة اليها وتبرز بها الى عالم الحس والحقيقة غيرة الوطنيين وسخاء الكرماء لكن خير البر عاجله

هذا موضوع يطرح في ميدان البحث وعسى ان يعيره ادباء القطر التفاتهم وينظروا فيه برأيهم الصائب فما نقدم انما هو قطرة من بحر وكنوز الحقيقة ودررها لم تزل مخبوءة لهم وهم اهل البلاد يعرفون مواضع الضعف والشدة فيها ولم اتجاوز في البحث باب النظر في المسئلة بوجهٍ عام وانما قصدت تنبيه الافكار الى ما نحن في حاجة اليهِ ولا بدَّ ان يتلو ذلك ما يزيح النقاب عن الحقائق اذ الامور مرهونة باوقاتها والله علاَّم الغيوب

علم الجراحة في الحرب

لحضرة الدكتور وديع بريقاري طبيب مستشفى الزقازيق

لم يكتفِ جرَّاحو الانكليز بما نالوهُ من العلم والاختبار ولا ارتضوا بما لديهم من المال والشهرة ولا اقتصروا على معالجة الالوف الذين يعالجونهم في مستشفياتهم الكثيرة ولذلك ما كادت الحرب تنشب في جنوبي افريقية حتى تطوَّع كبارهم وتركوا رغد العيش وركبوا اشد الاخطار حبًّا بالانسانية وطمعًا بتوسيع نطاق الجراحة واستجلاء ما غمض من اسرار هذا الفن. وما كادت اقدامهم تطأ تلك البلاد حتى تسابقوا في العمل والجد ومواصلة الجرائد الطبية بكل جديد مفيد فكان لمقالاتهم شأن عظيم وفائدة كبيرة عدا ما افادوا بهِ ابناء نوعهم في ميدان القتال فكم من رجل انقذوهُ من مخالب الموت وكم من آلام خففوها ومخاطر استدركوها وامراض شفوها. وكم من طفل ابعدوا عنهُ اليتم وامرأة وقفوا بينها وبين الترمل. وها انا الخِّص بعض ما وقفتُ عليهِ مما استفادهُ الاطباء والجرَّاحون من هذه الحرب

رصاص موزر Mauser

رصاص موزر مخروطي الشكل ملبَّس بالنكل وهو اكثر انواع الرصاص استعمالاً في هذه الحرب وبهِ يصاب اكثر الجرحى. وقد مدحهُ الجراح تريفس الشهير لان ضررهُ اخف من ضرر غيرهِ فلا يهتك الانسجة الرخوة لعدم تمدده ولا يشوه الاعضاء. واصاباتهُ بلا ألم وتكاد تكون خالية من الخطر ولا تحتاج الاَّ الى علاج بسيط. وتتوقف شدَّة ضررهِ على المسافة التي يطلق منها فاذا اصاب الانسان عن بعد ١٥٠٠ متر الى ٢٠٠٠ متر اخترق الجزء المصاب كأنهُ ابرة اي ان الفتحة التي يدخل منها تكون ضيقة جدًّا كثقب الابرة وكذلك القناة التي